مجلة المسلم

العدد : ٢١١ الموافق في ربيع أول ١٤٢٠ هجري ٧ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : اختلاف منهج الأولويات في حياة المسلمين في الغرب –١–	بقلم : أ.متولي موسى

أولاً : تحليل الواقع :

الحمد لله الذي أتم النعمة وأكمل الدين برسالة خاتم المرسلين ، والمبعوث رحمة للعالمين ﷺ ، والذي جعل الإسلام رسالة عالمية ، ومصدراً للعطاء الإنساني إلى قيام الساعة ، كما جعل الله تعالى المسلمين مسؤولين عن حمل الأمانة والدعوة إلى سبيل الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى : { **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** } [النحل : ١٢٥] . وذلك يتطلب البصيرة كما أرشد الله إلى ذلك في قوله تبارك وتعالى : { **قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** } [يوسف : ١٠٨] . كما يستلزم أن يكون المسلمون يداً واحدة في التعاون والتعاضد على الأعداء ، قال رسول الله ﷺ " المسلمون تتكافأ دماؤهم . وهم يدٌ على من سواهم . يسعى بذمتهم أدناهم ، ويُردُّ على أقصاهم " [صحيح سنن ابن ماجة : ٢١٧٢] .

والمستقرئ لواقع الجاليات المسلمة في الغرب وأمريكا يتبين له ما يلي :

١. هناك تكاثر مضطرد لأعداد المسلمين وخاصة الذين يحملون الجنسية الأوروبية والأمريكية ، وفي نفس الوقت لا توجد المؤسسات التربوية والتثقيفية القادرة على مواكبة هذه الزيادة المضطردة ، مما قد ينذر بتحول الجاليات المسلمة إلى نوعية الغثائية التي أخبر عنها الرسول ﷺ " **يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .. ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت** " [صحيح الجامع الصغير : ٨١٨٣]

٢. الجهود التي تقوم بها الفعاليات الإسلامية على قلتها تفتقد إلى فقه معايير التفاضل والكرامة وشد العضد ، أو ما يمكن أن يطلق عليه فقه الأقليات وفقه الأولويات ، فهناك ضياع للجهود ، والإنشغال بما يولد الحزازات ويمزق الجماعات ، أو ما يعرف بالجهاد مع غير عدو ، كما أن هناك اهتماماً بنوافل مع تضييع لفرائض ، أو الاهتمام بفروع الأعمال وإهمال الأصول ، ومن ذلك الاهتمام بتنظيم رحلات الحج أكثر من مرة والعمرة في رمضان وعدم التفكير في إنشاء المدارس والنوادي ورياض الأطفال ، وعدم

الاهتمام بالواجبات الجماعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفقه في الدين ، فضلاً عن افتقاد التعاون على البر والتقوى ، والإصلاح بين الناس ، والتواصي بالصبر والمرحمة ،فضلاً عن التقصير في واجب جدال غير المسلمين بالحق ، وبالبحث معهم عن الحقيقة التي ضيعوها بالحجة والبرهان ، مصداق قول الله تعالى : { **أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أألـه مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** } [النمل ٦٤] . وأن نقول لهم كما علمنا الله تعالى أن نقول : { **وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين** } [سبأ : ٢٤] . فقد ذم الله تعالى الجهلة الذين يجادلون بالباطل من غير علم ، فقال سبحانه وتعالى : { **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** } [الحج : ٨] .

٣. وأخيراً هناك غفلة بين غالبية أبناء الجاليات المسلمة في الغرب ، وعدم اسيعاب لسنن التدافع والتسخير ، وغياب لحسن التقدير والتسيير ، مما أفقد الجهود المبذولة أحد عنصري حسن الأعمال أو العنصرين معاً - الإخلاص والصواب - ، فلم يعد هناك وعي لقول الله عز وجل : { **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** } [الملك : ٢] . ولا استيعاب لقول الرسول ﷺ : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، شربوا منها ، وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " [متفق عليه]

هذا الخلل الكبير الذي وقعت فيه الجاليات المسلمة في الغرب ، حتى أن كثيراً من فعالياتها أصبحت تصغر الكبير وتكبر الصغير ، وتؤخر ما حقه التقديم وتقدم ما حقه التأخير ، وتهمل الفريضة وتحرص على النافلة ، وتعترك من أجل المختلف فيه ، وتصمت عن تضييع المتفق عليه ، كل هذا يجعلنا في حاجة ماسة إلى معرفة فقه الأقليات وفقه الأولويات ، ففيه نناقش ونحاور ، ونستوضح ونستبين ، حتى نستشرف المستقبل ونتطلع إلى الآمال المستقبلية عازمين على عمل الخير ، وخير العمل ..

ثانياً : الآمال المستقبلية

- لا شك أن الحديث تحت هذا العنوان يتطلب منا أن نتحدث عن فقه الأقلية المسلمة في الغرب ، التي أعتقد أن الحديث فيه يحتاج إلى دقة في معرفة الواقع وإنزال الأحكام الشرعية المناسبة عليه ، فكم

من أكثرية لا نفوذ لها ولا يلتفت إليها ، وكم من أقلية لها إرادة وشأن يمكنها من التأثير في القرار وإدارة الأمور ، فالقضية مرتبطة بالواقع الذي تعيشه هذه الأقلية وفاعليتها وتأثيرها على صانع القرار ، فالأمر يحتاج إلى فقه وبحث واجتهاد ، وليست الظروف والإمكانات مواتية في الوقت الحاضر للأقلية المسلمة في الغرب ، حتى تقوم أولاً بإصلاح الخلل الواقع في منهج أولوياته وإصلاح ذاتها ، إذ أن معيار التفاضل على مستوى الفرد والأمة هو الخيرية ، قال تعالى { **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** } [آل عمران: ١١٠] وقال رسول الله ﷺ : " خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق، قيل : ما القلب المحموم ؟ قال : هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد . قيل : فمن على أثره ؟ قال : يشنأ الدنيا ، ويحب الآخرة . قيل : فمن على أثره ؟ قال : مؤمن في خلق حسن " [صحيح الجامع الصغير ٣٢٨٦] ؛ أي ليس الأفضل هو الأكثر أو الأقل ، فالتقوى التي جعلها الله تعالى معيار التفاضل في قوله عز وجل :{ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** } [الحجرات : ١١٣] ، هي جماع الأمر كله ، فقد تكون المحصلة أن فرداً يعدل أمة كاملة ، قال تعالى { **إن إبراهيم كان أمة** } [النحل : ١٢٠] ، وقال رسول الله ﷺ " ليس شيء خير من ألف مثله إلا الإنسان " [صحيح الجامع الصغير : ٥٦٧٠]. وعليه فالحديث في هذا الموضوع سيتركز بالدرجة الأولى على نوعية المسلم الذي نتمنى أن يوجد في المستقبل ، وكيفية تكوين هذه النوعية .

*** نوعية المسلم المطلوب :**

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم وصحيح السنة تبين لنا أن الإسلام يريد نوعية من المسلمين هي التي ذكرتها سورة العصر ، حيث قال الله تعالى : { **والعصر إن الانسان لفي خسر ❋ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ❋ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** } . فهذه السورة العظيمة تبين أن كل إنسان خاسر إن لم تتوفر فيه هذه الصفات الأربع : عقيدة صحيحة ، وسلوك مستقيم ، ودعوة إلى الله على بصيرة ، وصبر على وعورة الطريق .

إنهم مدعوون إلى الاستمساك بالعقيدة الإسلامية التي أكرمهم الله تعالى بها وهداهم إليها ، والتي تتطلع إليها الإنسانية الحائرة في هذا الزمان ولا تكاد تحظى بها .. وهم مدعوون أيضاً إلى أن يحملوا أنفسهم على الأعمال الصالحة في إطار شرع الله عز وجل الذي جاء به خاتم المرسلين ﷺ . وإلى أن

تكون لديهم رهافة الحس الإسلامي الذي يدفعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يستقيموا على ذلك صابرين محتسبين مهما تعرضوا في سبيل ذلك إلى المحن والمصائب والشدائد ، فإن ذلك هو الذي يضمن لهم الفلاح والنجاة . هذه النوعية التي قال عنها النبي ﷺ : " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " [متفق عليه] . كما بين الوحي أن المؤمن الذي يتخلق بالصبر تتضاعف طاقته إلى عشرة أضعاف أعدائه ممن لا يملكون الإيمان والصبر ، قال الله عز وجل : { **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** } [الأنفال : ٦٥] وأما في حالة الضعف فيمكن أن تكون طاقة المؤمن الصابر ضعف طاقة خصمه ، فقد قال تعالى : { **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين** } [الأنفال : ٦٦]

فالعناية إذاً يحب أن تتجه إلى الكيف والنوع لا إلى مجرد الكم ، وهذا يتطلب الاهتمام بقوة الإيمان والإرادة وامتلاك الصفات والقيم الإيمانية ، ولقد أرشد الله تعالى في كتابه الكريم أن الجسم وحده ليس هو المحقق للخيرية فقال عن المنافقين : { **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم** } [المنافقون : ٤] . ووصف الله عز وجل قوم عاد على لسان هود عليه السلام فقال سبحانه : { **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** } [الأعراف : ٦٩] ولكنهم لم يتعظوا فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا : من أشد منا قوة ؟ وفي الحديث الصحيح : " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرأوا إن شئتم : { **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** } [الكهف :١٠٥] "[متفق عليه]

وعليه فليس المهم قوة الجسم وضخامته إن لم يكن به قلب تقي وعقل ذكي ، فقد ورد في صحيح مسلم باب : « تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه » حديث رسول الله ﷺ " جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة - الإيمان يمان والفقه يمان - والحكمة يمانية " وفي رواية أخرى : أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية "

وليس معنى هذا الكلام أن الإسلام لا يقيم وزناً لصحة الجسم وقوته !! كلا ، فهو يهتم بذلك غاية الإهتمام ، فقد مدح الله تعالى طالوت بقوله : { **وزاده بسطة في العلم والجسم** } [البقرة :٢٤٧]

وكما أن ضخامة الجسم وقوته ليست هي مقياس الرجولة ، ولا معيار الفضل في الإنسان ، فكذلك

جمال الوجه وحسن الصورة ، فقد ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : " قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم "

الخلاصة :

إن الرجال الذين نريدهم بما في قلوبهم من إيمان { **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** } [الأحزاب : ٢٣] . وهذا يتطلب العلم والعمل والدعوة والصبر على الأذى كما سبق أن أشرنا في سورة العصر . والتنافس في حياة هؤلاء الرجال ليس بين المحسن والمسيء ، وإنما التنافس بين الحسن والأحسن ، وهذا هو المسلم الذي يتطلع إلى الأرفع ، قال الله عز وجل : { **يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** } [المطففين : ٢٥-٢٦]

وقال رسول الله ﷺ : " إذا سألتم الله الجنة ، فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن " [رواه البخاري]